مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.
المجلد: 07/ العـدد: 01/ جوان (2023)، ص.514/522

حجاجيَّة النَّفي بـ(لا) في الشِّعر العربيّ مقاربةٌ تداوليَّةٌ

The Argumentation of the Negative with (no) in the Arabic Poetry: _A pragmatic approach_

فاطمة غراب*
gherab-fatma@univ-eloued.dz
د. علي زيتونة مسعود
ali-zitouna@univ-eloued.dz
مخبر الانتماء: بحوث في الأدب الجزائري ونقده جامعة الوادي.
جامعة الوادي (الجزائر)
جامعة الوادي (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2022/10/19 تاريخ القبول: 2023/02/27 تاريخ النشر: 2023/06/02

ملخص:
تعتبر (لا) من أقوى الأدوات النَّافية إقناعاً وتأثيراً في المتلقي؛ نظراً لما تحمله من دلالة على الرَّفض، والإنكار، والرَّدِّ، والجحود، والإبطال، والاعتراض، فقد وظَّفها الشَّاعر العربيّ (المُحَاجِجُ) في العديد من السِّياقات الإقناعيَّة (الفخر، الغزل، المدح، الرِّثاء...)؛ وذلك للتَّأكيد على موقفه ودعواه، ودحض الرَّأي المخالف.
ومنه، تسعى هذه الدّراسة إلى الكشفِ عن الوظائف الحِجاجِيَّةِ التي تضطلع بأدائها (لا) النَّافية في الشّعر العربيّ، وإلى إستجلاء المقاصد الحِجاجِيَّة والتَّداوليَّة التي ينطوي عليها أسلوب النَّفي بـ (لا)، وذلك من خلال نماذج مختارة من الشّعر العربيّ، وفق منهج حِجاجِيّ تداوليّ.
كلمات مفتاحية: الحِجَاجُ، (لا) النَّافية، الشِّعر العربيّ، الإقْنَاعُ، التَّأْثِيرُ.

Abstract:
(No) in considered one of the most powerful and persuasive negative tools for the recipient.This is because of what it bears as significance for rejection, repudiation denial, refutation, and objection.The Arab argumentative poet used it in many persuasive contexts (pride, flirtation, praise, lamentation…).This is to confirm his position, claim, and refute the opposing opion.
Accordingly, this study seeks to argumentative functions that are performed by the negative (no) in Arabic poetry. In the same way, it tends to elucidate the argumentative and pragmatic intents involved in the method of negation with (no), through selected models of Arabic poetry, according to the argumentative pragmatic Arabic methodology.
Keywords: *Argumentation; The Negating (No);Arabic poetry; persuasion; influence.*

المقدمة:

اِهتمَّ النُّحاة، والبلاغيُّون قديما وحديثا بمبحث النَّفي؛ فعدَّدوا حروفه، وحدَّدوا وظائفه النَّحويَّة وأغراضه البلاغيَّة في مختلف الخطابات التَّواصليَّة. وقد لقي الاهتمام ذاته في الدِّراسات اللِّسانيَّة الحديثة والمعاصرة، حيث

*المؤلف المرسل.

اِهتمّ بدراسته المشتغلون على أفعال الكلام؛ من خلال حديثهم عن الأفعال الإنجازيّة. كما تناوله أصحاب نظريّة الحجاج اللّغوي «ديكرو» (Ducrot) و«أنسكومبر» (Anscombre)؛ من خلال دراستهما للعوامل الحِجاجيّة.

وتُعدُّ أدوات النّفي من أبرز العوامل الحِجاجيّة، التي تُحقّق وظيفة اللّغة الحِجاجيّة (الإقناع والتأثير)؛ وذلك من خلال توجيه الملفوظ إلى النّتيجة الحِجاجيّة المقصودة (ن). ولقد حصرت العربيّة في لغتها حروفا مختصة للنّفي مثل: (لا، لن، لم، ما) يصدق عليها قول أنسكومبر (Anscombre): "يوجد في اللّغة عوامل حجاجيّةٌ تشدُّ الملفوظ وتوجّهُ أقسام النتائج المرتبطة بالجملة"[1].

إنّ عامليّة النّفي الحِجاجيّة لا يمكن إدراكها إلّا بإدراك النّتيجة الحِجاجيّة التي يريد الباثُّ (المتكلم أو الكاتب) توجيهَ جمهورهِ إليها، لذلك كان ديكرو في معرض حديثه عن النّفي، يركّزُ دائما إلى رائز المفهوم، وهو: لماذا قال المتكلّم ما قال؟[2]

ولمّا كان النّفي مبنيًا على ترديد كلام سابق وردّه على قائله، فإنّ علاقات التّخاطب التّواصليّة، تكشف عن هذا الجانب الجداليّ التّقاوليّ (متعدّد الأصوات) بعبارة ديكرو، فلئن كان المخاطب صادرا عن اِعتقاد يقين في صدْق إثباته المنسوب إليه على الحقيقة أو الاعتبار حقًّا أو ادّعاء من المتكلّم النافي، فإنّ من يعمل النّفي يصدر عن اِعتقاد يقين أيضا؛ وهو يقين مخالف ليقين المثبت[3].

ولمّا كانت غاية كلّ خطاب حِجاجيّ الإقناع والتّأثير في المتلقّي فكْراً، أو عاطفةً، أو سلوكاً؛ يتوسّل المُحاجِج لتحقيق هذه الغاية بالوسائل الحِجاجيّة لتوجيه المتلقّي إلى النّتيجة الحِجاجيّة التي يتوخّى المُحاجج تسليم المتلقّي بها وقبولها والعمل بمقتضاها. ومن أبرز هذه الوسائل (النّفي الحِجاجيّ)؛ فالشّاعر بوصْفه مُحاجِجاً؛ يتغيّا من خلال خِطابه الشّعريّ إقناع المتلقّي بالقضيّة المراد إقناعه بها؛ وذلك بتوظيف أدوات النّفي المختلفة (لا، ما، لم، لمّا، ليس، لن...).

وتعدُّ الأداة النّافية (لا) من أكثر أدوات النّفي توظيفاً واستعمالاً في الخطابات الشّعريّة العربيّة؛ نظراً لما تحمله من دلالة على: الرّفض، والرّد، والجحود، والإنكار، والإبطال. وقد وُظّفت هذه الأداة توظيفاً حِجاجيًّا في الشّعر العربيّ؛ وذلك في العديد من السّياقات الإقناعيّة والاستدلاليّة (الفخر، والغزل، والمدح، والوصف، والرّثاء...).

ولكيْ تكون العمليّة الحِجاجيّة هادفة ومُوجّهة، يلجأ المُحاجِج (الشّاعر) إلى اِستخدام وسائل حِجاجيّة؛ تُساعده على توجيه خطابه إلى الوجهة الحِجاجيّة التي يتوخّاها المُحاجِج / الشّاعر، وتُسهّل على المتلقّي عمليّة التّأويل والفهْم التّداوليّ للخطاب الشّعريّ؛ حيثُ تجعله يتقيّد بما تُوفّره هذه الوسائل من إقناع، وتأثير، وتوجيه، وتغيير للرّأي أو السُّلوك. ومن أبرز هذه الوسائل أسلوب النّفي، الّذي يُوظّفه الشّاعر العربيّ لدفع أفكار المتلقّي وإقناعه بالرّأي الذي يعتبره المُحاجِج (الشّاعر) صحيحاً.

وتأسيساً على ما سبق ذكْره، جاءت ورقتنا البحثيّة موسومة بعنوان: (حِجَاجِيَّة النَّفي بـــ (لا) فِي الشِّعْرِ العَرَبِيّ ـ مُقَارَبَة تَدَاوُلِيَّة ـ).

وتكمن أهميّة هذا الموضوع في كوْن الأداة النّافيّة (لا) من أنجع الأدوات النّافية إقناعاً وتأثيراً في الشّعر العربيّ، حيث تُسهم في الكشف عن المقاصد الحِجاجيّة والتّداوليّة في الخطاب الشعري العربي.

أمّا الأهداف التي تسعى هذه الدّراسة إلى تحقيقها، فيمكن إيجازها في النّقاط الآتية:

1. الكشف عن علاقة النّفي بالحِجاج.
2. إبراز المقاصد الحِجاجيّة والتّداوليّة التي ينطوي عليها أسلوب النّفي بـ (لا) في الشّعر العربيّ.
3. إثبات فرضيّة حِجاجيّة الأداة النّافية (لا) في الشّعر العربيّ.

وارتكزت هذه الدّراسة على إشكاليّة رئيسة، يمكن صياغتها على النّحو الآتي:

ــ كيف أسهمت (لا) النّافية في إقناع المتلقّي والتّأثير فيه فكراً، وعاطفةً، وسُلوكاً في الشّعر العربيّ؟

وتتفرّع عن هذه الإشكاليّة العديد من الأسئلة الفرعيّة، نذكر منها:

ــ ما المقصود بالحِجاج والنّفي لغة واصطلاحاً؟

ــ ما أبرز الوظائف الحِجاجيّة التي اِضطلعت بأدائها (لا) النّافية في الشّعر العربيّ؟

هذا ما ستحاول هذه الدّراسة الإجابة عنه؛ وذلك من خلال المحاور الآتية:

أوّلا ــ مفهوم الحِجاج.
ثانيا ــ مفهوم النَّفي.
ثالثا ــ حِجاجِيَّة النَّفي بـ (لا) في الشّعر العربيّ نماذج مختارة.

أمَّا عن المنهج المُتّبع في هذه الدّراسة، فهو المنهج الوصفي التّحليلي؛ وذلك من خلال وصْف ظاهرة النَّفي الحِجاجي بـ (لا) في نماذج شعريّة عربيّة مختارة، ومقاربتها وفق المنهج الحِجاجيّ التّداوليّ، الذي يتغيَّا الكشف عن المقاصد الحِجاجيَّة والتّداوليَّة (الإقناع والتّأثير) في الخطاب الشّعريّ.

وسنقوم بعرْض تفاصيل محاور هذه الدّراسة وفق ما يلي:

أوّلا ــ مفهوم الحِجاج:

1 ــ الحِجاج لغة: عند الرُّجوع إلى المعاجم اللُّغويَّة العربيَّة، نعثر على العديد من المعاني اللُّغويَّة التي تحملها مادة (حَ. جَ. جَ)؛ حيث:

ــ جاء في (لسان العرب) لابن منظور (ت711ه): "الحَجُّ: القَصْدُ، حَجَّ إِلَيْنَا فُلَانٌ أَيْ قَدِمَ، وَحَجَّهُ يَحُجُّهُ حَجًّا: قَصَدَهُ... وَقَدْ حَجَّ بَنُو فُلَانٍ فُلَاناً إِذَا أَطَالُوا الاخْتِلَافَ إِلَيْهِ... يُقَالُ: حَاجَجْتُهُ أُحَاجُّهُ حِجَاجاً وَمُحَاجَّةً حَتَّى حَجَجْتُهُ أَيْ غَلَبْتُهُ بِالحُجَجِ الَّتِي أَدْلَيْتُ بِهَا... وَمَحَجَّةُ الطَّرِيقِ سُنَنُهُ... وَالحُجَّةُ البُرْهَانُ، وَقِيلَ: الحُجَّةُ مَا دُوفِعَ بِهِ الخَصْم. والحُجَّةُ الوَجْهُ الذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الخُصُومَةِ... وَحَاجَّهُ مُحَاجَّةً وَحِجَاجاً: نَازَعَهُ الحُجَّةَ... وَالحُجَّةُ: الدَّلِيلُ وَالبُرْهَانُ"[4].

ــ وورد في (المعجم الوسيط) ما يلي: "حَجَّ المَكَانَ: قَصَدَهُ ... وَحَجَّهُ: غَلَبَهُ بِالحُجَّةِ، يُقَالُ: حَاجَّهُ فَحَجَّهُ. (حَاجَّهُ) مُحَاجَّةً، وحِجَاجًا: جَادَلَهُ. (اِحْتَجَّ) عَلَيْهِ: أَقَامَ الحُجَّةَ. وَحَاجَّهُ: عَارَضَهُ مُسْتَنْكِراً فِعْلَهُ. (تَحَاجُّوا): تَجَادَلُوا. (الحُجَّةُ): الدَّلِيلُ وَالبُرْهَانُ. (المِحْجَاجُ): الذِي يُكْثِرُ الجَدَلَ. (المَحَجَّةُ): الطَّرِيقُ المُسْتَقِيمُ (ج) مُحَاجّ"[5].

من خلال هذين التَّعريفين المعجميّين، يتَّضحُ لنا أنَّ (الحِجاج) لغة، يحملُ المعاني التّالية: القصد، والمغالبة، والتّنازع، والتّخاصم، والجدل، وإقامة الدَّليل، والبرهان. وهذا يعني أنَّ (الحِجاج) فعلٌ تداوليّ قصديٌّ؛ يُنجزه المحاجِج قصْد إقناع المتلقّي ومغالبته؛ بواسطة الحُجج والبراهين الاستدلاليَّة؛ وذلك في سياق جدليّ، يكثر فيه التّنازع والمخاصمة حول قضيَّة خلافيَّة مُعيَّنة.

2 ــ الحِجاج إصطلاحاً:

تعدَّدت التَّعريفات الاصطلاحيَّة لمصطلح (الحِجاج) في الثَّقافتين الغربيَّة والعربيَّة؛ وذلك نظراً لاختلاف التَّوجّهات الفكريَّة لمنظّريه (التَّوجّه اللُّغويّ، والتَّوجّه البلاغيّ، والتَّوجّه المنطقيّ، والتَّوجّه الفلسفيّ...) هذا من جهة، ولتعدُّد مجالات اِستعماله من جهة أخرى؛ فهو حاضرٌ في ميدان الفلسفة، والبلاغة، وعلوم الاتّصال، واللّسانيَّات ...الخ. وسنقتصر فيما يلي بإيراد أبرز هذه التَّعريفات، وذلك على النَّحو الآتي:

أ ــ مفهوم الحِجاج وفق التَّوجّه البلاغيّ:

يعرّفه أصحاب نظريَّة البلاغة الجديدة «بيرلمان» (Perlman)، و«تيتكا» (Tetica) بأنَّه:"درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أنْ تُؤدّي بالأذهان إلى التَّسليم بما يُعرضُ إليها من أطروحات، أو أنْ تزيد في درجة ذلك التَّسليم"[6].

فالحِجاج ـ إذا ـ وفق المنظور البلاغيّ يُقصدُ به ذلك العلم الذي يدرس الآليات والاستراتيجيَّات الإقناعيَّة (البلاغيَّة والشّبه المنطقيَّة) التي تهدف إلى إقناع المتلقّي والتَّأثير فيه فكراً، وعاطفةً، وسُلوكاً (الإقدام على الفعل أو الكفّ عن الفعل)؛ فغاية كلّ حِجاجٍ عندهما هو: "أنْ يجعلَ العقول تذعنُ لما يُطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان؛ فأنْجعُ الحِجاج ما وُفِّق في جعْل حِدَّة الإذعان تقوى درجتها لدى السَّامعين، بشكلٍ يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وفّق على الأقلّ في جعل السَّامعين مُهيَّئين لذلك العمل في اللَّحظة المناسبة"[7].

ب ــ تعريف الحِجاج وفق التَّوجّه اللُّغويّ:

يذهب أصحاب نظريَّة الحِجاج اللُّغويّ «ديكرو» (Ducrot)، و«أنسكومبر» (Anoscombre) إلى أنَّ الحِجاج عبارة عن: "تقديم المُتكلّم قولاً (ق1) يُفضي إلى التَّسليم بقوْلٍ آخر (ق2)، وسواء أكان (ق2) صريحاً أو ضمنيًّا، فعمليَّة قبول على أنَّهُ نتيجة (ق1)، تُسمَّى عمل مُحاجَّة"[8].

وعرَّفه أحد أبرز أقطاب الحجاج اللُّغويّ في العالم العربي «أبو بكر العزَّاوي»؛ وذلك في قوله: "إنَّ الحِجاج هو تقديم الحُجج والأدلَّة المُؤدِّية إلى نتيجة مُعيَّنة، وهو يتمثَّلُ في إنجاز تسلسلات داخل الخِطاب، وبعبارة أخرى يتمثَّلُ الحِجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحُجج اللُّغويَّة، وبعضها الآخر هو بمثابة النَّتائج التي تُستنتج منه"[9].

فالحِجاج ـ إذًا ـ وفق المنظور اللُّغويّ هو عبارة عن إنجاز فعلين إنجازيّين: فعْل التَّصريح بالحُجَّة، وفعْل اِستنتاج النتيجة من الحُجَّة المُصرَّح بها، وهذه النتيجة قد تكون صريحة أو مُضمرة؛ يتمُّ اِستنتاجها من خلال السياق المقاميّ للخطاب.

وخلاصة هذه التَّعريفات، أنَّ (الحِجاج) هو عمليَّة عقليَّة اِجتماعيَّة، تتمُّ بين مُحاجِج (متكلّم / كاتب) ومَحْجُوج (مُستمع / قارئ)؛ وذلك للدّفاع عن قضيَّة معيَّنة أو دحْضها؛ بواسطة الحُجج، والأدلَّة، والبراهين (اللُّغويَّة، والبلاغيَّة، والشّبه المنطقيَّة)، والتي تحمل المتلقّي على الإذعان، والاستمالة والتَّأثير الفكريّ، أو العاطفيّ، أوالسُّلوكيّ.

ثانيا ــ مفهوم النَّفي:

للتَّعرُّف على معنى النَّفي وحقيقته، يجدر بنا تعريفه لغة واِصطلاحاً. فما المقصود بالنَّفي؟

1 ــ النَّفي لغة:

ذهب المعجميُّون العرب القدامى والمحدثون إلى أنَّ (النَّفي) لغة مصدر مشتقٌّ من الجذر الثُّلاثي (نَ فَ ى)، والذي يحمل عدَّة معانٍ، نذكر منها:

ــ جاء في (لسان العرب) لابن منظور (ت711ه): "نَفَى الشَّيْءَ يَنْفِي نَفْياً: تَنَحَّى... وَالسَّيْلُ يَنْفِي الغُثَاءَ: يَحْمِلُهُ وَيَدْفَعُهُ... وَنُفِيَ الرَّجُلُ عَنِ الأَرْضِ وَنَفَيْتُهُ عَنْهَا: طَرَدْتُهُ فَانْتَفَى... وَانْتَفَى مِنْهُ: تَبَرَّأَ وَنَفَى الشَّيْءَ: جَحَدَهُ... يُقَالُ: نَفَيْتُهُ أَنْفِيهِ نَفْيًا إِذَا أَخْرَجْتُهُ مِنَ البَلَدِ وَطَرَدْتُهُ..."[10].

ــ وورد في (المعجم الوسيط): "(نَفَى) الشَّيْءَ يَنْفِيهِ نَفْياً: نَحَّاهُ وَأَبْعَدَهُ، وَيُقَالُ: نَفَى الحَاكِمَ فُلَاناً: أَخْرَجَهُ مِنْ بَلَدِهِ وَطَرَدَهُ... نَفَاهُ: جَحَدَهُ وَتَبَرَّأَ مِنْهُ"[11].

فمن خلال هذه التَّحديدات المعجميَّة لمادة (نَفَى) نخلص أنَّ (النَّفي) لغة يحمل معنى: الإبعاد، والطَّرد، والتَّنحّي، والدَّفع، والجَحد، والإخراج، والإنكار.

2 ــ النَّفي اِصطلاحاً:

تعدَّدت التَّعريفات الاصطلاحيَّة لمصطلح (النَّفي) عند النُّحاة والبلاغيّين، ومن أبرز هذه التَّعريفات نذكر:

ــ أشار «ابن يعيش» (ت653ه) إلى أنَّ: "النَّفي إنَّما يكون على حسب الإيجاب لأنَّهُ إكذابٌ له فينبغي أنْ يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما إلَّا أنَّ أحدهما نفي والآخر إيجاب"[12].

بمعنى أنَّ النَّفي مرتبطٌ بالكلام المثبت؛ فهو ردٌّ وإنكارٌ له. ويكمن الفرق بين النَّفي والإثبات في "محتوى الملفوظين؛ وذلك بالنَّظر لبنيتهما التركيبيتين؛ إذْ يصدر ملفوظ النَّفي بحروف حدَّدها أهل اللُّغة منها (لا، ولم، وليس، وما)"[13].

ــ وعرَّفه «الشَّريف الجرجاني» (ت816ه) في كتابه (التَّعريفات) بقوله: "النَّفي هو ما لا ينجزم بلا وهو عبارة عن الإخبار عن ترْك الفعل"[14].

فهو عرَّف النَّفي؛ اِنطلاقا من تفريقه بين (لا) النَّافية و(لا) النَّاهية، التي تجزم الفعل المضارع الوارد بعدها، بخلاف (لا) النَّافية الدَّاخلة على الأسماء؛ فتحوّل معناها من الإثبات إلى النَّفي.

ــ وعرَّفه «مهدي المخزومي»؛ اِنطلاقا من علاقته بالسّياق التَّداوليّ الذي أُنتج فيه خطاب (النَّفي)، وذلك في قوله: "النَّفي أسلوبٌ لغويٌّ تُحدّده مناسبات القول، وهو أسلوب نقْض وإنكار، يُستخدم لدفْع ما يتردَّد في ذهْن

المخاطب، فينبغي إرسال النَّفي مُطابقاً لِما يُلاحِظه المتكلّم من أحاسيس ساورتْ ذهْن المُخاطب خطأً، ممَّا اِقتضاه أنْ يسعى لإزالة ذلك بأسلوب النَّفي، وبإحدى طرائقه المتنوّعة الاستعمال"[15].

فالنَّفي بهذا المعنى مرتبطٌ بالسّياق المقاميّ الذي قيل فيه الملفوظ المنفيّ؛ فهو أسلوب لغويٌّ يستخدمه المتكلّم (النَّافي)؛ بغرض تغيير وجْهة نظر المخاطب، الذي يعتقد خلاف المتكلّم في قضيَّة معيَّنة.

ثالثا ــ حِجاجِيَّة النَّفي بـ (لا) في الشّعر العربيّ ـ نماذج مختارة ـ :

تعدُّ (لا) من الأدوات النَّافية التي تكون "عاملة أو غير عاملة، أمَّا العاملة، فتكون لنفي الجنس، أو لنفي الوحدة، أو عاطفة، وغير العاملة وتكون حرف جواب، أو لمجرَّد النَّفي"[16]. وقد وُظِّفت هذه الأداة توظيفاً حِجاجِيًّا في الخطاب الشّعريّ العربيّ؛ بحيثُ يتوسَّلُ بها الشَّاعر (المُحاجِج) في خطابه الشّعريّ؛ لغرض تحقيق الاستمالة، والإقناع، والتَّأثير الفكريّ، أو العاطفيّ، أو السُّلوكيّ. ويمكن إثبات ذلك من خلال تحليل الشَّواهد الشّعريَّة الآتية:

النَّموذج الأوّل:

قال الشَّاعر «قيس بن الملوَّح»:

أَتُوبُ إِلَيْكَ يَا رَحْمَنُ مِمَّـــا ** عَمِلْتُ فَقَدْ تَظَاهَرَتِ الذُّنُوب.

فَأَمَّا مِنْ هَوَى لَيْلَى وَتَرْكِي ** زِيَـارَتَهَا فَـإِنِّـــي لَا أَتُـوب[17].

إنَّ النَّفي الوارد في البيت الأخير (فَأَمَّا مِنْ هَوَى لَيْلَى وَتَرْكِي زِيَارَتَهَا فَإِنِّي لَا أَتُوب) أبْطل المقتضى الذي يتوقَّعه المتلقّي؛ بناءً على المقدّمة الحِجاجِيَّة التي أوردها المحاجِج / الشَّاعر (قيس بن الملوَّح)؛ إذْ إنَّ المتوقّع قوْل إثباتيٌّ يتضمَّنُ توبة الشَّاعر من هوى ليلى وتخلِّيه عنها بعد إقراره بتوبته من الذّنوب، لكن عامل النَّفي (لا) الذي أوْرده الشَّاعر بعد تلك المقدّمة الحِجاجِيَّة، أبْطل ذلك المقتضى بقوْل منفيّ؛ شكَّل حُجَّة تردُّ على مَنْ اِعتقد أنَّ الشَّاعر قد تاب من ذنْب عِشْقه لليلى وزيارته إيَّاها. فهو ينفي هذا الاعتقاد، باستخدام عامل النَّفي الحِجاجِيّ (لا)، الذي وجَّه المتلقّي / القارئ نحو نتيجة حِجاجِيَّة، مفادها: شدَّة تعلّق «قيس بن الملوّح» بمحبوبته «ليلى».

والتَّوجيه الحِجاجِيّ لهذا الحجاج، يتمثَّل في: التَّأكيد على شدَّة تعلّق الشّاعر بمحبوبته، وتغيير موقف القائلين بأنَّه سيتخلَّى عن حبّه لها؛ فهو يُصحّح اِعتقادهم؛ بواسطة توظيف أسلوب النَّفي بـــ (لا)، الذي يفيد نفي توبة الشَّاعر عن حبّه لليلى وزيارته إيَّاها في الحال والاستقبال.

ويمكن تمثيل مسار الحُجَّة المنفيَّة نحو النتيجة الحِجاجِيَّة المقصودة وفق الخطاطة الحِجاجِيّة الآتية:

ن: شدّة تعلق "قيس بن الملوّح" بمحبوبته "ليلى"

↑ ح1: فَأَمَّا مِنْ هَوَى لَيْلَى وَتَرْكِي زِيَارَتَهَا فَإِنِّي لَا أَتُوبُ.

والملاحظ من خلال هذه الخطاطة البيانيَّة، أنَّ الشَّاعر قدَّم حُجَّة منفيَّة ح1: (فَأَمَّـــا مِنْ هَوَى لَيْلَى وَتَرْكِـــي زِيَـارَتَهَا فَـــإِنِّـــي لَا أَتُـــوبُ) لإقناع المتلقي / القارئ بنتيجة حِجاجِيَّة، مفادها: بيان شدَّة تعلّق «قيس بن الملوّح» بمحبوبته "ليلى".

النَّموذج الثَّاني:

يقول «عنترة بن شدَّاد» في معلَّقته:

يُخْبِرُكِ مَنْ شَهِدَ الوَقِيعَةَ أَنَّني أَغْشَى الوَغَى وَأَعِفُّ عِنْـدَ المَغْنَمِ**

وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُمَاةُ نِزَالَـهُ ** لَا مُمْـعِنٍ هَرَبـاً وَلَا مُسْتَسْـــلِمِ[18]

فالشَّاعر، ههنا، في مقام يفخر فيه بشجاعته في الحروب؛ فوظَّف حُججا لإقناع المخاطب بهذه النتيجة، وقد عمل عامل النَّفي (لا) المُكرَّر في عجز البيت الثَّاني (لا ممعن هربا ولا مُستسلم) على توجيه المخاطب إلى النتيجة المقصودة؛ حيث يشير هذا النَّفي الحِجاجِيّ إلى إثبات ضمنيّ ويردُّ عليه بواسطة الأداة النَّافية (لا)؛ فهو ينفي الاعتقادات والشُّكوك التي تساور ذهن المخاطب حول أنَّ الشَّاعر «عنترة بن شدَّاد» جبان يخاف العدوَّ؛ مَا يجعله سريع الهرب، مستسلما عن مواجهته؛ حيث أبطل المحاجِج (الشَّاعر / عنترة بن شدَّاد) هذا المقتضى التَّداوليّ؛ بإعلاء صفة الشَّجاعة فيه، وإثبات شدَّة بأسه في الحروب وعدم اِستسلامه؛ وذلك بتوظيف النَّفي الحِجاجِيّ (لا)، الذي عمل على توجيه المخاطب إلى نتيجة حِجاجِيَّة، مفادها: بيان شجاعة «عنترة بن شدَّاد» في الحروب.

والتّوجيه الحِجاجِيّ لهذا الحِجاج، يتمثّل في لفْت انتباه المتلقّي / القارئ إلى شجاعة عنترة بن شدَّاد وشدَّة بأسه في الحروب.

وفي سبيل إقناع المتلقّي والتّأثير فيه، تدرّج الشّاعر / عنترة بن شداد في تقديم حججه المنفيّة، وذلك ما يوضّحه السّلّم الحِجاجِيّ الآتي:

رتّب الشّاعر / عنترة بن شدَّاد حُججه المنفيّة المُدعّمة لطرحه الحِجاجِيّ ترتيباً تصاعديًّا، من الحُجّة الأضعف مدلولاً (ح1: لَا مُمْعِنٍ هَرَباً)؛ أي عدم الإسراع في الهرب، إلى الحُجّة الأقوى مدلولاً (ح2: لَا مُسْتَسْلِمٍ)؛ ومفادها عدم اِستسلام الشّاعر عن مواجهة العدوّ في الحروب. وهذا أقوى دليلاً على شجاعته في الحروب.

والملاحظ من خلال السُّلّم أنّ المحاجِج (عنترة بن شدَّاد) عضَّد حُججه المنفيّة بالرابط الحِجاجِيّ (الواو)، والذي عمل على وصْل الحُجج بعضها ببعض وترتيبها وفق مبدأ القوّة الحِجاجِيّة.

النّموذج الثّالث:

يقول «محمود سامي البارودي»، وهو في سرنديب:

أَبِيتُ فِي غُرْبَةٍ لَا النَّفْسُ رَاضِيَةٌ بِهَا وَلَا المُلْتَقَى مِنْ شِيعَتِي كَثَبُ**
فَلَا رَفِيقٌ تَسُرُّ النَّفْسَ طَلْعَتُهُ ** وَلَا صَدِيقٌ يَرَى مَا بِي فَيَكْتَئِبُ[19]

فالشّاعر في هذه الأبيات يُصوّر لنا غربته وشدَّة معاناته النّفسيّة في بلاد المنفى (سرنديب). وفي سبيل إقناعنا بهذه النتيجة الحِجاجِيّة، قدَّم حُججاً منفيّةً بالأداة النّافية (لا)، متدرّجة في قوتها الإقناعيّة؛ حيثُ اِنطلق الشّاعر في بناء خطابه الحِجاجِيّ من نتيجة حِجاجِيّة صريحة، مؤدّاها: (أَبِيتُ فِي غُرْبَةٍ)؛ ومفادها: (غربة الشّاعر في بلاد المنفى)، ثُمَّ دعَّم نتيجته بحُجج منفيّة بـ (لا): (ح1: لَا النَّفْسُ رَاضِيَةٌ بِهَا)، و(ح2: لَا المُلْتَقَى مِنْ شِيعَتِي كَثَبُ)، و(ح3: لَا رَفِيقٌ تَسُرُّ النَّفْسُ طَلْعَتُهُ)، و(ح4: لَا صَدِيقٌ يَرَى مَا بِي فَيَكْتَئِبُ).

فهذه الملفوظات المنفيّة شكّلت حُججا وظّفها الشّاعر للرّدّ على من اِعتقد بأنّ «البارودي» راضٍ بوضْعه في بلاد الغربة، وأنّهُ وجَد أخلاء وأصدقاءً يشاركونه أحزانه وأفراحه؛ فهو يدحض هذا الاعتقاد ، باستخدام عامل النّفي الحِجاجِيّ (لا) الذي عمل على توجيه المتلقّي / القارئ إلى نتيجة حِجاجِيّة صريحة، مفادها: غربة الشّاعر / محمود سامي البارودي في بلاد المنفى. والغاية الحِجاجِيّة التي يرمي إليها الشّاعر هي: التّأكيد على شدَّة معاناة الشّاعر النّفسيّة في بلاد الغربة (سرنديب).

وقد تدرّجت الحُجج المنفيّة التي وظّفها الشّاعر وفق السّلّم الحِجاجِيّ الآتي:

فالشَّاعر / محمود سامي البارودي رتَّب سُلّمه الحِجاجِيّ ترتيباً تصاعديًّا؛ حيثُ بدأ خطابه الإقناعي بالحُجَّة الضعيفة (ح1: لَا النَّفْسُ رَاضِيَةٌ بِهَا)، ثُمَّ ارتقى بحِجاجِه درجة (ح2: لَا المُلْتَقَى مِنْ شِيعَتِي كَثَب)، ثُمَّ زاد في حدَّة الإقناع بحُجَّة أقوى من الثانية (ح3: لَا رَفِيقٌ تَسُرُّ النَّفْسَ طَلْعَتَهُ)، ثُمَّ ختم سلّمه الحِجاجِيّ بحُجَّة تُعتبرُ أقْوى الحُجج تدعيماً وتثبيتاً للنتيجة (ن)، ألا وهي (ح4: لَا صَدِيقٌ يَرَى مَا بِي فَيَكتَئِبُ).

النَّموذج الرَّابع:

يقول «عبد الوهَّاب البيَّاتي» في قصيدة (أنا يا رماد):

لَا خِلَّ يَفْهَمُني وَلَا ** تُصْغِي رُؤَى نَفْسِي إِلَيه[20]

فالشَّاعر، هنا، في مقام يُصوِّرُ شعوره بالاغتراب النَّفسيّ والاجتماعيّ في بلاد المنفى؛ فهو ضجِر، حزينٌ من وحدته. حيثُ ينهض الشَّاعر، هنا، بإقناعنا بشدَّة معاناته النَّفسيَّة؛ وذلك بإستخدام أسلوب النَّفي بـــ (لا)، التي اِضطلعْت بوظيفتين، هما: وظيفة نحويَّة؛ من خلال نفيها الخبر عن الجنس الواقع بعدها في الحُجَّة الأولى (لا خِلَّ يفهمني)، ودخولها على الفعل المضارع لإفادة النَّفي الاستمراريّ (الحاضر، والماضي، والمستقبل)، وذلك في الحُجَّة الثانية (لا تصغي رؤى نفسي إليه).

أمَّا الوظيفة الحِجاجِيَّة؛ فتتَجلَّى من خلال إقناع المتلقّي / القارئ بنتيجة حِجاجِيَّة، مفادها: شعور «عبد الوهَّاب البيَّاتي» بالوحدة والاغتراب النَّفسيّ والاجتماعيّ. والتَّوجيه الحِجاجِيّ لهذا الخطاب الحِجاجِيّ هو: التَّأكيد على شدَّة معاناة الشَّاعر / عبد الوهَّاب البيَّاتي النَّفسيَّة، وفيه دعوة المتلقّي/ القارئ إلى مواساة الشَّاعر ومشاركته أحاسيسه وانفعالاته.

ويمكن تمثيل الحُجج المنفيَّة بـ (لا) في السُّلّم الحِجاجِيّ الآتي:

ن: شعور الشَّاعر "عبد الوهّاب البيَّاتي" بالوحدة والاغتراب النَّفسيّ والاجتماعيّ.

ح2: لَا تُصْغِي رُؤَى نَفْسِي إِلَيْهْ.

الرَّابط الحِجاجِيّ: الواو.

ح1: لَا خِلَّ يَفْهَمُنِي.

تدرَّجت الحُجج المنفيَّة المدعّمة للنتيجة الحِجاجِيَّة (ن: شعور الشَّاعر «عبد الوهَّاب البيَّاتي» بالوحدة والاغتراب النَّفسيّ والاجتماعيّ) من الحُجَّة الأضعف مدلولا (ح1: لَا خِلَّ يَفْهَمُني) إلى الحُجَّة الأقوى مدلولاً (ح2: لَا تُصْغِي رُؤَى نَفْسِي إِلَيْهْ).

النَّموذج الخامس:

تقول «فدوى طوقان» في قصيدة (من الأعماق):

سِرْتُ وَحْدِي فِي غُرْبَةِ العُمْرِ، فِي التِّيهِ المُعَمَّى، تِيهُ الحَيَاةِ السَّحِيقْ
لَا أَرَى غَايَةً لِسَيْرِي . . وَلَا أُبْصِرُ قَصْداً يُوفِي إِلَيْهِ طَرِيقِي[21]

تضمَّنت هذه الأسطر الشعريَّة طاقة حِجاجِيَّة لوجود عامل النَّفي الحِجاجِي (لا) مُكرَّراً؛ فالملفوظات المنفيَّة: (لَا أَرَى غَايَةً لِسَيْرِي)، وَ(لَا أُبْصِرُ قَصْداً يُوفِي إِلَيْهِ طَرِيقِي) تُعتبرُ حججًا وأدلَّة وظَّفتها الشَّاعرة / فدوى طوقان لإقناع المتلقّي / القارئ بشدَّة معاناتها النَّفسيَّة جرَّاء الوحدة والاغتراب؛ فهي تُنكر وجود أيّ قصد أو هدف واضح لسيرها في طريق الحياة المليء بالمخاطر والتيهان في دروبه الوعرة. فالشَّاعرة / فدوى طوقان لجأت إلى توظيف أسلوب النَّفي بـ (لا) لتوجيه المتلقّي/ القارئ إلى نتيجة حِجاجِيَّة، مفادها: تيهان الشَّاعرة وشدَّة إغترابها. والغاية الحِجاجِيَّة التي ترمي إليها الشَّاعرة هي: التَّأكيد على شدَّة معاناة الشَّاعرة النَّفسيَّة، وفيه دعوة إلى المتلقّي/ القارئ لمشاركة الشَّاعرة هذه المعاناة والتَّجاوب معها.

ويمكن تمثيل مسار الحُجج المنفيَّة نحو النتيجة الحِجاجِيَّة في السُّلَّم الحِجاجِيّ الآتي:

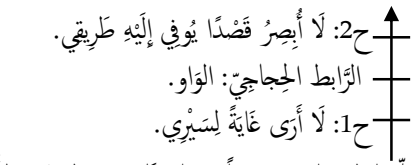

فالشّاعرة / فدوى طوقان رتّبتْ سُلّمها الحِجاجِيّ ترتيباً تصاعديًّا؛ من الحُجّة الأَضعف مدلولاً (ح1: لَا أَرَى غَايَةً لِسَيْرِي) إلى الحُجّة الأَقْوَى مدلولا (ح2: لَا أُبْصِرُ قَصْداً يُوفِي إِلَيْهِ طَرِيقِي). فهاتان الحُجّتان وردتا متساندتين ومتّصلتين بالرّابط الحِجاجِيّ (الواو)؛ وذلك لتدعيم النتيجة (ن): تيهان الشّاعرة «فدوى طوقان» وشدّة اِغترابها.

الخاتمة:

خلصت هذه الدّراسة إلى أنّ الأداة النّافيّة (لا) من أقوى العوامل الحِجاجِيّة التي وُظّفت في الشّعر العربيّ لتحقيق أغراض إقناعيّة وتأثيريّة. ويمكن تلخيص أبرز النتائج في النقاط الآتية:

- وظّف الشاعر العربي النّفيَ بـ (لا) في الشّعر العربيّ في سياقات إقناعيّة؛ تتغيّا تغيير وجهات النّظر وإثبات الموقف الذي يتبنّاه الشّاعر.
- اِضطلعت الأداة النّافية (لا) في الشّعر العربيّ بأداء الوظيفة النّحويّة المرتبطة بالزّمن النّحويّ، فضلاً عن أدائها لعدّة وظائف حِجاجِيّة، نذكر أبرزها: الإقناع، والتّأثير، والتّوجيه، والإنكار، والإبطال، والاعتراض، والرّدّ، والجحد.
- يحمل النّفي بـ (لا) في الشّعر العربيّ طاقة إقناعيّة وتأثيريّة بالغة الأثر في الخطاب الشّعريّ؛ فهو يعمل على دحْض المعتقدات الخاطئة التي يُشكّك المخاطب في صحّتها؛ وذلك بغية تغيير وجهة نظر المخاطب وتصحيحها.
- إنّ الحُجج المنفيّة بـ (لا) أكثر إقناعاً من الحُجج المُثبتة؛ وذلك نظراً لفاعليّة أدوات النّفي الحِجاجِيّة (الاقناعية والتأثيرية)؛ فهي تُسهّل الوصول إلى النتيجة المقصودة.
- رتّب الشّاعر العربيّ حُججه المنفيّة بـ (لا) وفق تراتبيّة سُلميّة، مُستعيناً بالرّوابط الحِجاجِيّة (الواو، وبل)؛ وذلك تبعاً لقوّتها الإقناعيّة وقُربها من النّتيجة المقصودة.
- أسهم الاستعمال الحِجاجِيّ لأداة النّفي (لا) في الشّعر العربيّ في عمليّة إقناع القارئ والتّأثير فيه؛ فكراً، وعاطفة، وسلوكاً.

هوامش وإحالات المقال:

1ــ عزّ الدّين الناجح، العوامل الحجاجيّة في اللغة العربيّة، مكتبة علاء الدّين، صفاقس، ط1، 2011م، ص47.
2ــ ينظر: المرجع نفسه، ص50.
3ــ ينظر: شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغويّة مراجعات ومقترحات،دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت ط1، 2010م، ص189.
4 ــ ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ج11، مادة (حَ جَ جَ)، ص778، 779.
5 ــ مجمع اللُّغة العربيّة، المعجم الوسيط، إشراف: شوقي ضيف وآخرون، مكتبة الشُّروق الدّوليّة، مصر، ط4، (1425ه/2004م)، مادة (حَ جَ جَ)، ص156، 157.
6 ــ عبد اللّه صولة، في نظريّة الحِجاج: دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنّشر والتّوزيع، تونس، ط1، 2011م، ص13.
7 ــ علي الشّبعان، الحِجاج والحقيقة وآفاق التّأويل (بحثٌ في الأشكال والاستراتيجيّات)، تقديم: حمّادي صمُود، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص90.
8 ــ آمال يوسف المغامسي، الحِجاج في الحديث النبويّ دراسة تداوليّة، الدّار المتوسّطيّة، الجمهوريّة التُّونسيّة، ط1، (1437ه/2016م)، ص23.
9 ــ أبو بكر العزّاوي، اللُّغة والحِجاج، العمدة في الطّبع، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، (1426ه/2006م)، ص16.

10 ــ ابن منظور، لسان العرب، مادة (نَ فَ ى)، ص4511، 4512.
11 ــ مجمع اللُّغة العربيَّة، المعجم الوسيط، مادة (نَفَى)، ص943.
12 ــ ابن يعيش، شرح المفصَّل، صحَّحه وعلَّق عليه حواشي نفيسة بعد مراجعته على أصول خطّيَّة بمعرفة مشيخة الأزهر المعمور، إدارة الطّباعة المنيريَّة، مصر، (د ط)، (د ت)، ج8، ص108.
13ــ إبراهيم أمغار وآخرون، التَّحليل الحِجاجيّ للخطاب (بحوث مُحكَّمة)، دار كنوز المعرفة ، عمان، (د ط)، (1437ه/2016م)، ص453.
14ــ الشَّريف الجرجاني، كتاب التَّعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، (ط د)، 1985م، ص315.
15 ــ مهدي المخزومي، في النَّحو العربيّ نقد وتوجيه، دار الرَّائد العربيّ، بيروت، لبنان، ط2، (1406ه/1986م)، ص247.
16 ــ علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزعبي، المعجم الوافي في أدوات النَّحو العربيّ، إربد، ط2، (1414ه/1993م)، ص265.
17 ــ ديوان قيس بن الملوّح مجنون ليلى، رواية أبي بكر الوالبيّ، دراسة وتعليق: يسرى عبد الغني، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، (1460ه/1999م)، ص36.
18 ــ ديوان عنترة، تحقيق ودراسة: محمَّد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص209.
19 ــ محمود سامي البارودي، ديوان البارودي، تحقيق: علي الجارم، محمَّد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، د ط، 1998م، ص74.
20 ــ عبد الوهَّاب البيَّاتي، الأعمال الشّعريَّة، المؤسَّسة العربيَّة للدّراسات والنَّشر، بيروت، (د ط)، 1995م، ص79.
21 ــ فدوى طوقان، الأعمال الشّعريَّة الكاملة، المؤسَّسة العربيَّة للدّراسات والنَّشر، بيروت، ط1، 1993م، ص51.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم أمغار وآخرون، التَّحليل الحِجاجيّ للخطاب ، دار كنوز المعرفة ، عمان، (د ط)، (1437ه/2016م).
2. آمال يوسف المغامسي، الحِجاج في الحديث النبويّ دراسة تداوليَّة، الدَّار المتوسّطيَّة، تُونس، ط1، (1437ه/2016م).
3. أبوبكر العزَّاوي، اللُّغة والحِجاج، العمدة في الطَّبع، الدَّار البيضاء، المغرب، ط1، (1426ه/2006م) .
4. ديوان عنترة، تحقيق ودراسة: محمَّد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، القاهرة، (د ط)، (د ت).
5. ديوان قيس بن الملوّح مجنون ليلى، رواية أبي بكر الوالبيّ، دراسة وتعليق: يسرى عبد الغني، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، (1460ه/1999م).
6. الشَّريف الجرجاني، كتاب التَّعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، (ط د)، 1985م.
7. شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغويَّة مراجعات ومقترحات، دار الكتاب الجديد المتَّحدة، بيروت ط1، 2010م.
8. عبد اللّه صولة، في نظريَّة الحِجاج: دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنَّشر والتَّوزيع، تونس، ط1، 2011م.
9. عبد الوهَّاب البيَّاتي، الأعمال الشّعريَّة، المؤسَّسة العربيَّة للدّراسات والنَّشر، بيروت، (د ط)، 1995م.
10. عزّ الدّين الناجح، العوامل الحجاجيَّة في اللغة العربيَّة، مكتبة علاء الدّين، صفاقس، ط1، 2011م.
11. علي الشَّبعان، الحِجاج والحقيقة وآفاق التَّأويل (بحثٌ في الأشكال والاستراتيجيَّات)، تقديم: حمَّادي صمُّود، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.
12. علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزعبي، المعجم الوافي في أدوات النَّحو العربيّ، إربد، ط2، (1414ه/1993م).
13. فدوى طوقان، الأعمال الشّعريَّة الكاملة، المؤسَّسة العربيَّة للدّراسات والنَّشر، بيروت، ط1، 1993م.
14. مجمع اللُّغة العربيَّة، المعجم الوسيط، إشراف: شوقي ضيف وآخرون، مكتبة الشُّروق الدّوليَّة، مصر، ط4، (1425ه/2004م).
15. محمود سامي البارودي، ديوان البارودي، تح: علي الجارم، محمَّد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، (د ط)، 1998م.
16. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د ط)، (د ت، مج2، ج17.
17. مهدي المخزومي، في النَّحو العربيّ نقد وتوجيه، دار الرَّائد العربيّ، بيروت، لبنان، ط2، (1406ه/1986م).
18. ابن يعيش، شرح المفصَّل، صحَّحه وعلَّق عليه حواشي نفيسة بعد مراجعته على أصول خطّيَّة بمعرفة مشيخة الأزهر المعمور، إدارة الطّباعة المنيريَّة، مصر، (د ط)، (د ت).